بنية الخطاب النثري العربي القديم/البنية القصصية للقصة القرآنية)

ماستر سنة أولى أدب قديم/ أ.د سكينة قدور

الفن القصصي في الأدب العربي

مدخل نظري[1]:

يحيل الفعل قص في القرآن على معنى الخبر والإبلاغ عن واقعة ما، لكنه مقيد بالحق والصواب واليقين وبالتدبر والاعتبار وهو القصص الذي أسس القرآن وجوده في الأدب العربي وحدد قيمه[2]، والقاص هو الذي يتتبع الأخبار ويتقصاها، ليصبح القص بمعنى قريب إلى علم الأخبار منه إلى الفن، يتطلب الأمانة ولا تتجاوز حدود وظيفته الوعظ، ويصبح القاص هو الإخباري الواعظ، وكذلك يهدف القصص القرآني إلى العظة والاعتبار. بين الثعلبي الحكمة من ورود القصص في القرآن الكريم فيما يأتي: إظهار النبوة/ الدلالة على صدق الرسالة/ تقديم نماذج الأنبياء للقدوة/ تثبيت النبي/ الإعلام بشرفه وشرف أمته/ إحياء ذكر الماضين وتلك إحدى معجزاته...كما تمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بنبل وظيفة القص، فقد رافقه بعض القصاص ورووا عنه وقربهم منه أمثال: تميم بن أوس بن خارجة الداري والواعظ عبد الله بن رواحة، وعاصره من قصاص المشركين النضر بن الحارث الذي كان يحضر مجالس المصطفى ويحدث الناس بعد فراغ النبي بأخبار رستم وأسفنديار وقصص الكهان والأحبار.

– بواكير القص عند العرب: يربط الدارسون القص في صدر الإسلام بالفتنة، وإن عرف قصاص أيام الرسول مثل تميم الداري وعبيد بن عمير والأسود بن سريع وأبو حازم القاص و مسلم بن يسار، وكان المسجد مكانهم، قص تميم الداري في مسجد الرسول بعد أن استأذن من الخليفة عمر، ومنهم من قص في المسجد الحرام وجلهم من الثقاة، واستمر الأمر إلى أن ظهر التوتر بين القصاص والدولة زمن المعتضد(279-288)، فمنعوا من دخول المساجد وضربوا، ثم كان لهم دور في شغب بغداد في ق4هـ، فمنعوا من عقد مجالسهم، وتحول مدلول القص، وأصبح القاص منذ ذلك مخلطا أو مضحكا، قدم المسعودي والسيوطي صورا ساخرة عنهم و ذمهم ابن الجوزي في كتابه "القصاص والمذكرين" لما بدأوا في التخلي عن الفضاء الدلالي للقص كما حدده القرآن والرسول، يقول عبد الله بن عمر: "ما أخرجني إلا القصاص ولولاه ماخرجت" ويقول عبد الله بن المبارك: "سألت سفيان الثوري من الناس قال العلماء. قلت فمن الملوك قال الزهاد. قلت فمن الغوغاء[3] قال القصاص" وقال أحمد بن حنبل: " أكذب الناس القصاص والسؤال"، إضافة إلى مافي القص من إلهاء عن الحق وشغل عن السنن بما لا يفيد، ورأى محمد بن كثير أن الجلوس إليهم من علامات استخفاف العقل وذهاب المروءة وتمنى لو أنه يستطيع التنكيل بهم لأنهم أكذب الخلق على الله وأنبيائه، فقد راجت المرويات الإسرائيلية في قصص العامة(أخبار الخلق/ الجنة/ الطوفان/ الأنبياء...) ووجدت لها سبيلا حتى عند أشهر المؤرخين كالطبري والمسعودي.

– الصور القصصية من العصر الجاهلي وصدر الإسلام إلى التدوين[4]: حرص العرب على المشافهة منذ العصر الجاهلي واستمر الأمر إلى صدر الإسلام فحفظوا القرآن والحديث والشعر والأخبار والأنساب، واستمرت في الأسواق والمجالس وظل علمها الحقيقي ماوعته الصدور ففي العصر الجاهلي انحصر الفضاء الجغرافي بين امبراطوريتي الفرس والروم فكان المناذرة حلفاء الفرس والغساسنة حلفاء الروم، وكان العرب في أغلب الأحوال وقودا للصراع بينهما، ونتج عن هذا الصراع قصص البطولات والدسائس والمؤامرات دارت في الأسمار وتناقلها الركبان، وإلى جانبها دارت قصص عاطفية واجتماعية وكثير من الأساطير والخرافات منها العربية ومنها الوافدة من الثقافتين الفارسية والرومية، مثل قصص المنذر بن النعمان وجذيمة الأبرش وعمر بن عدي الذي استهوته الجن فتاه في الأرض والقصص والأساطير اليونانية والنصرانية ، وقد راجت في اليمن كونها ملتقى للثقافات حكايات وأساطير وثنية ويهودية ومسيحية وعربية، وعدت المركز الذي جاء منه أهم مصدرين للقص في العصر الإسلامي وهب بن منبه وكعب الأحبار.

المحاضرة السابعة الأنواع القصصية في العصر الجاهلي:

كان الشعر الجاهلي من أول مصادر القص الجاهلي، فكادت كثير من القصائد تصبح نصا قصصيا يتكون من وحدات سردية متنوعة، أما القص النثري فعرف بالحديث وتنوع بين أيام العرب (حروبهم) وأسفارهم، وأحاديث الهوى (كقصة المنخل اليشكري والمتجردة)، وقصص عن أمم أخرى كقصة شريك مع المنذر، وقصص الأساطير مثل طسم وجديس، والنوادر والفكاهات ...

1- القصص الأسطوري:

أحاديث لا نظام لها من سطر إذا جاء بأحاديث لا أصل لها كأنها تشبه الباطل، والأساطير قصص تعبر عن تجارب الأمم البدائية ومواقف الإنسان من قوى الطبيعة والآلهة. تتصل جل الأساطير العربية بأخباريين يمانيين يهود ونصارى أسلموا، لم يبق منها سوى أساطير الجن وبنائها لتدمر يقول النابغة: وخيس الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد[5].

كما ربطوا بين الشعر والجن فجعلوا لكل شاعر شيطانا يلقنه ويلهمه علم الغيب. من أشهر أساطيرهم ما تردد حول سد مأرب من بدئه وما فيه من صور الحياة حتى خرابه، وما ارتبط ببعض القصور خاصة قصري غمدان والخورنق[6]، وقد ارتبط هذا الأخير بالمثل الشهير "جزاء سنمار". ومن الأخبار التي تداولتها العرب عام الفيل و أيام البسوس وذي قار وغيرها من الحوادث في تاريخ العرب وموروثهم القصصي.

2- القصص الخرافي:

كما كان لهم قصص خرافي عن الحيوان، وتعني الخرافة الحديث المستملح من الكذب واستطراف السمر، وغالبا ماتكون ذات مغزى أخلاقي، أشخاصها وحوشا وجمادات ومخلوقات متخيلة، نسب ابن الكلبي هذا النوع من الأحاديث إلى رجل من عذرة أو

جهينة يدعى خرافة، اختطفته الجن أمدا فلما عاد حدث بما رأى. ومن الخرافات الجاهلية قصة خداع الغراب للديك وخرافة الضفدع والضب والنعامة التي ذهبت تطلب قرنين فعادت دون أذنين[7].

3- القصص الواقعي:

ويتناول شؤون الحياة العربية من حرب وسلم وجد ولهو، وكل ما تعلق بحياتهم (حروبهم/ أخبار ملوكهم/ أشرافهم/ أبطالهم/ شعراؤهم/ صعاليكهم/ عشاقهم...)، ولم يكن هذا القصص للتسلية والسمر بل للتأريخ، ففيه هويتهم وقيمهم وأخلاقهم.

4- قصص الأمثال: باعتبار كل مثل يضمر قصة في ثناياه هي ما يعرف بمورد المثل، وغالبا ما تكون الأمثال جاهلية المضمون إسلامية الرواية.

القصص في صدر الإسلام والعصر الأموي[8]

كان الإسلام أبرز حدث وأعظمه في تاريخ العرب، نقلهم نقلة نوعية، وجعلهم أمة فاعلة في تاريخ البشرية، وإن لم يتخلصوا نهائيا من طقوس الجاهلية وميراثها نظرا لاستمرار سلطة القبيلة، فظل القصص الجاهلي محببا، وتطور ونما متأثرا بالظرف الجديد وبالقصص القرآني، واستجاب لقيم العصر وآدابه، فصار القص واجبا دينيا للوعظ والإعتبار، وفي الجهة المقابلة اتخذه المشركون سلاحا خطيرا في التصدي للإسلام حتى أهدر الرسول دم قاصهم النضر بن الحارث صبرا، لما للقص من أثر تحريضي وتضليلي وتوجيهي... كما استعان الخلفاء الراشدون أيام الفتوح بالقصاص لتشجيع الجند على الجهاد وتزجية الوقت بعيدا عن الأهل. وصار القص عملا رسميا يعهد به إلى رجال يعطون عليه أجرا، وعين بعض القضاة قصاصا مثل سليمان بن عتر التجيبي اليمني فهو أول من قص بمصر (38هـ) جامعا بين القضاء والقص، ثم فرغ للقص فقط. وقد كثر القص أيام الفتنة وفي معركة صفين، وبدأ يخرج عن غاياته الدينية إلى الوظيفة السياسية، خاصة من قبل معاوية الذي عين من يقص في الناس مرتين بعد صلاتي الصبح والمغرب، وعين للقصاص مرتبات خاصة[9]، فهو أول الحكام المسلمين رغبة في السمر وتعلقا بأهل الأخبار لغايات سياسية، وكان يأمر كتابه بتدوين ما يدور في مجالسه، وقد كان للخوارج قصاصهم الذين يحرضون على الجهاد وأشهرهم صالح بن مسرح. وقد تولى القص من هم على معرفة بالقراءة والكتابة واطلاع على ما كان مدونا بلغات الأمم الأخرى كالسريانية والعبرية واللاتينية... ومن أهم أنواع القص في صدر الإسلام والعصر الأموي:

1- القصص الديني:

هو القصص الذي يعالج قضايا الواقع ومشكلاته من منظور ديني أخروي يركز على مبدأ الثواب والعقاب ويحكي قصص الصراع الأزلي بين الخير والشر والإيمان والكفر والحق والباطل، يتخذ أبطاله من الأنبياء والرسل والصالحين من الأولياء وما يرتبط بهم من معجزات وكرامات وخوارق لتأكيد حتمية انتصار القيم الروحية على المادية.

أ- القصص القرآني:

كان للقصص القرآني أثره ، ففيه التوجيه والدعوة والتأثير النفسي والروحي والدعوي، وفيه الإعجاز وتحدي الموروث المسيحي واليهودي والوثني، فيه قصص الأنبياء والرسل وفيه تاريخ الأمم الغابرة (أهل الكهف/ قصة قارون وذي القرنين) وفيه القصص الغيبي(الجن والملائكة) وكثير منه عن بني إسرائيل ومتعلقا بقصص توراتي. وقد أسس القصص القرآني للسرد العربي القديم وكان لسمة التكثيف فيه محفزا للقصاص على اعتماد الخيال في ملء الفراغات إضافة إلى الإفادة من الكتب الدينية القديمة ، لينشأ قصص ديني مواز له هو ما يعرف بالإسرائيليات.

ب- القصص الديني الأسطوري:

على رأسه الكتابيون الذين أسلموا ونقلوا معارفهم السابقة إلى الثقافة الإسلامية، أولهم وهب بن منبه وكعب الأحبار وأبي بن كعب (كانوا يهودا) وتميم الداري (كان نصرانيا) لتتضخم تلك المرويات مع الزمن بفعل الوضع والانتحال، ينضاف إليها أساطير الفرس والروم والهند.

ج- السيرة النبوية:

كانت بمثابة البديل الإسلامي للابتعاد عن القصص الجاهلي، تألفت على أيدي القصاص والإخباريين في المقام الأول وتعزى أول محاولة لشهاب بن عبد الله جد الزهري بأمر من أمير العراق خالد القسري، ثم تلاه المؤلفون فيما بعد والمحدثون والإخباريون وعلى رأسهم ابن اسحاق صاحب أول سيرة كاملة، وقد نقحها ابن هشام وأحكم نسيجها القصصي ورتب أحداثها وشرحها وعلق عليها حتى صارت تنسب إليه. وكثيرا ما استعان أصحاب السيرة النبوية بالمحدثين لتأكيد مصداقية أخبارهم.

2-القصص التاريخي الأسطوري:

هو امتداد للقصص الجاهلي، اختلط بالقصص الديني لصلة كثير من الشخصيات التاريخية بالدين، وأضيفت إليه مؤثرات إسلامية مثل إرهاص البطل بمجيء الإسلام وبعثة النبي كقصة سيف بن ذي يزن ونبوءة شق وسطيح، وقصة أبرهة الحبشي، كما اختلط بالأساطير الوافدة الفارسية خاصة كقصة ذي القرنين وقصة يومي البؤس والنعيم وقصة شريك مع المنذر، كما نشأ قصص إسلامي بسمات أسطورية كحادثة كربلاء والقصص الشعبي الذي ألبس ملامح أسطورية.

3- القصص الواقعي:

هي كل الأخبار والنوادر والطرائف التي تصور الحياة العربية(حياة الشعراء والقادة والعشاق)، أول ما دون منه قصص الحب العذري، فصار المجنون نموذجا، ونوادر المتطفلين والبخلاء والحمقى والعقلاء...

سمات القصة العربية :

- الإيجاز تبعا للعقلية العربية التي تعتمد على الحفظ وتؤمن أن البلاغة الإيجاز.
- البعد عن التفصيلات وإهمال المؤثرات المكانية والزمانية والوصف.
- اقترانها بالشعر فقلما تخلو قصة منه.

التوثيق الإسنادي والحرص على النقل من راو إلى آخر حرصا على الأمانة أو إيهاما بها باختراع أسانيد وهمية.

– التداخل بين القوالب النثرية المختلفة فلم يميزوا بين الخبر والنادرة والقصة والموعظة.

– تدوين المرويات، وقد بدأ بالمغازي لارتباطها بالدين ثم التاريخ مثل كتاب الملك وأخبار الماضين لعبيد بن شرية الجرهمي(ت70هـ) ألفه لمعاوية، وكتاب التيجان في ملوك حمير لوهب بن منبه، كلاهما في العصر الأموي.

الفن القصصي في العصر العباسي[10]

مدخل إلى النثر العباسي:

تعددت فروع النثر العباسي تبعا لتنوع مجالات الحياة وتعددها، وانتشار العلوم والمعارف وجديد الإدارة، فهذا نثر علمي وذاك فلسفي وذاك تاريخي، وآخر نثر أدبي خالص. كما ارتبط في بعض صوره بالنثر القديم وكان امتدادا له، وعرف في بعض صوره الأخرى ابتكارا وتجديدا. وإذا كان الشعر إلى زمن سابق هو ديوان العرب فإن النثر في العصر العباسي يمكن اعتباره هو الآخر ديوان العرب الذي جمع مآثرهم وعلومهم وخلد الكثير من مظاهر حياتهم اليومية.

ففي أوائل العصر ازدهرت الخطابة ولكنها سرعان ما فترت بعض أنواعها لاسيما خطابة المحافل، وكذا الخطابة السياسية إذ توطدت أركان الملك العباسي ولم يعودوا في حاجة إليها.

أما سائر المجالات الخطابية فإن غلبة العجمة أثرت عليها، فلم يعد الخلفاء يخطبون إلا في الجمع والأعياد، وفي أخبار الرشيد أنّه عهد إلى الأصمعي أن يحفّظ ابنه الأمين خطبة يخطب بها في الناس يوم الجمعة. ولعل خطابة الوعاظ الوحيدة التي حافظت بعض الشيء على بقائها بين العامة والخاصة، فقد كان بعض خلفاء بني العباس يستقبلون الوعاظ ويوسعون لهم في مجالسهم أمثال المنصور و المهدى والرشيد.

وانتشر إلى جانب الخطباء جماعة من القصاص يقصون على الناس في المساجد الجامعة، وأشهرهم "موسى بن سيار الأسوارى" الذي أتقن العربية والفارسية، فكانت العرب تجلس على يمينه والفرس على يساره، فيقرأ الآية ويفسرها للعرب ثم يتحول إلى الفرس فيفسرها بالفارسية "فلا يدرى بأي لسان هو أبين" ومنهم عمرو بن قائد الذي ظل يفسر القرآن للناس ستّا وثلاثين عاما، ومنهم القاسم بن يحي الضرير وصالح المرّي... وفي هذا العصر اتسعت المناظرات الكلامية، وحمل لواءها المعتزلة من أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، ولم يكن همهم الردّ على مخالفيهم من الجهمية القائلين بالجبر، والمرجئة القائلين بعدم جواز تكفير المسلم ولا الحكم على أعماله وإن ارتكب كبيرة، وإنما انصرف همهم إلى الردّ على الدهرية والزنادقة، وقد استطاعوا التأثير في المأمون حتى اعتنق فكرتهم وأعلنها عقيدة رسمية للدولة وأخذ يمتحن الناس فيها.

وقد نهض المتكلمون من معتزلة وغيرهم بالنثر العباسي نهضة رائعة، إذ كانوا للاحتجاج لآرائهم يثقفون أنفسهم بثقافة فلسفية واسعة، يقول الجاحظ « ولا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام متمكنا في الصناعة، يصلح للرياسة، حتى يكون الذي يحسن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعها ».

فقد كانت المناظرة في موضوع من الموضوعات تنعقد أحيانا بين اثنين فتظل أياما ليس في أصول الدين أو الرد على الملحدين فحسب وإنما في كل موضوع يمكن أن يخطر على بالهما، وقد خص الجاحظ أكثر من مجلد من كتابه الحيوان بمناظرة كانت بين

معبد والنظام في الكلب والديك وأيهما أفضل، والمناظرة هذه تدل على مدى ما أصابه المتكلمون من توزيع لأفكارهم وبلاغتهم، فما بالك بما كان يجري بين المتناظرين في مسائل الدين واللغة نحوها وصرفها[11].

وقد اندفع هؤلاء المتناظرون رغبة في إحكام المناظرات إلى البحث الواسع في بلاغة الكلام، وكيف يصل المتكلم بحديثه الكفاية وغاية الحاجة، وكيف يجذب السامعين ببيانه وحلاوة ألفاظه وحسن مخارج حروفه، حتى تسكن إليه النفوس وتنقاد العقول، فكانوا يراعون الصوت والنبرة والحركة والإشارة واللفظة والأسلوب والبرهان والدليل والقياس والعلل وكل ما يمكن أن يؤثر في سماع المتلقي ويقوده إلى ما يؤمنون به ويرونه. وبين يدي هؤلاء المتكلمين بدأت تظهر مصطلحات بلاغية من تشبيه وحقيقة ومجاز وكناية واستعارة والتفات وحسن خروج واعتراض وتأكيد مدحٍ بما يشبه الذم وإيجاز وإطناب ومساواة واقتباس، إلى حدّ يمكن القول فيه إن هذه البيئة الفكرية والعلمية هي التي وضعت قواعد البلاغة والفصاحة، وهي التي أتاحت للعربية مرونة الأساليب لأداء أدقِّ المعاني، وهي التي ساهمت في ميلاد النموذج التعبيري العباسي البليغ، إذ كانت تنفي الألفاظ الوعرة من كلامها مثلما تنفى السوقي الساقط، وتختار لغة متوسطة تقوم على الألفاظ الرشيقة ذات المخارج السهلة، كما تقوم على ضرب من التلاؤم الموسيقى.

وبينما كان مذهب الوسطية قائما عند المتكلمين وكبار الأدباء والمترجمين، كانت طلائع مذهب ثان من التصنيع والتجميل تأخذ طريقها في بيئة الكتّاب الرسميين من أصحاب الدواوين، الذين راحوا يهذّبون رسائلهم السياسية غاية التهذيب ويبالغون في أناقة التعبير، فجاءوا بأسلوب كلّه قطع زخرفية، وكلّه سجع وتنميق، وكان على رأس هؤلاء ابن المقفّع وسهل بن هارون والجاحظ.

وأما الفن القصصي نعني به كل الفنون النثرية ذات الطابع القصصي كالخبر والنادرة والحكاية والقصة والمقامة، فقد هيأت البيئة العباسية لازدهار النشاط العلمي والثقافي بتشجيع الخلفاء والأمراء وحسن مكافأتهم للعلماء والأدباء والمترجمين، وتنافسهم على استقطابهم وضمهم إلى مجالسهم. واحتفى العلماء بمن يفد من الأعراب على المدن يلتقطون نوادرهم وأخبارهم، فقد كانت مجالس السمر والنوادي والأسواق مصدار مهما لها، وصارت أحاديثها مصدرا خصيبا لجامعي القصص، فاشتهر رواة كثر كالأصمعي وأبي عبيدة وابن الكلبي ويونس بن حبيب والمفضل الضبي...، منهم من اهتم بتدوين مروياته في كتب مع استمرار القصص الشفوي على أفواه القصاص الذين علا شأنهم في العصر العباسي الأول، فاشتهر قصاص أمثال عبد الله بن عرادة وموسى الأسواري الذي كان يقص بالعربية والفارسية والقاسم بن يحي الضرير ومالك بن عبد الحميد وصالح المري وغيرهم. وارتبط القص أول الأمر بالموضوعات الدينية كسالف عهده وتوسع فيما بعد ليرتبط بالتكدي وبمظاهر من الحياة الواقعية، وصار للقصاص أدبيات وقواعد وأساليب يتخذونها من أجل التأثير في المتلقين كالبكاء عند الوعظ...وإلى جانب القصص العربي الخالص ظهرت القصص المترجمة، وقد عرف هذا القص في العصر العباسي أنواعا نصفها فيما يأتي: أولا القصة الدينية والتاريخية:

تعود أصولها إلى مرويات ابن عباس ووهب بن منبه وكعب الأحبار وابن إسحاق، خرجت مع الوقت عن النطاق الديني المحض لتتداخل مع الأساطير والأهواء وتتأثر بالمذاهب والتوجهات، أشهرها كتاب "عرائس المجالس في قصص الأنبياء" لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي(ت427)، وكتاب الطبري "تاريخ الرسل والملوك" يتناول القصص المتعلقة بالخلق والأنبياء من أول الخلق إلى عصر الكاتب، وفيه نقل بالأسانيد وتوثيق للقصص الدينية عند سابقيه أكثر من التأليف الشخصي، لذلك كثرت فيه الإسرائيليات

والأساطير والغرائبيات. وعرفت المرحلة عمليات تهذيب للسيرة النبوية والمغازي ، كما عرفت رواج القصص الصوفي بغرائبيته خاصة الكرامات، فقد تراكمت أخبار الزهاد والمتصوفة (في البيان والتبيين وطبقات الصوفية للسلمي...)، واستقرت بواكير القص التاريخي في الكتب والرقاع (أخبار العرب القدماء وأخبار المسلمين والفتوح والصراعات والفتن...) جاءت على شكل سير موجزة وأخبار وقصص ونوادر، مثل معركة القادسية لأبي حنيفة الدينوري وقصة انتقام قصير لأبي عبيدة، وأشهرها "كتاب عيون الأخبار" لابن قتيبة و"كتاب الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني الذي يعد موسوعة من الأخبار الإجتماعية والتاريخية والأدبية، و"تاريخ الطبري" و"الأخبار الطوال" للدينوري الذي هو أشبه برواية تاريخية مطولة تخلص فيه من السند وقدمه بأسلوب سردي شيق، وسار على نهجه اليعقوبي في تاريخه والمسعودي في "مروج الذهب" فقد تضمن هذا الأخير قصصا متكاملة مستقلة، وغالبا ما يتداخل في هذه الكتب القص والتاريخ والأدب. كما بدأ الكتاب بتأريخ أحداث معاصرة، فأرخوا للخلفاء والقادة والأدباء والعلماء العباسيين، وكتبوا التراجم والسير مثل "أخبار أبي تمام"، و"أخبار الخليفتين الراضي والمتقي" للصولي، والتأريخ للقبائل مثل "أنساب الأشراف" للبلاذري و"مقاتل الطالبيين" للأصفهاني.

ثانيا القصة الواقعية:

وتشمل صورا من الحياة الحقيقية أو المتخيلة الشبيهة بالواقع المعيش، وهي أقرب إلى القصص الشعبي وطيد الصلة بتفاصيل الحياة العربية، كقصة عنترة وحياة الصعاليك وحياة الطبقات المختلفة للمجتمع العباسي، الطبقات العليا يمثلها الأدب الرسمي والطبقات الدنيا ويمثلها الأدب الشعبي وبرز في القص الواقعي كتاب كبار ألفوا صورا منها فيها من الحقيقة والخيال والإبداع أشهرهم[12]:

- الجاحظ(ت159هـ):

يأتي على رأس القصاص فهو واضع أسس القصة الواقعية المكتملة والناضجة فنيا في كتابه البخلاء خاصة (وفي سائر مؤلفاته الأخرى: البيان والتبيين/ الحيوان/ الرسائل/ المحاسن والأضداد)، فالقص حاضر في أخباره ومشارك في صنع مناخها السردي وتلوينه بطابعه الخاص الذي يشتهيه الجميع على اختلاف أهوائهم وأذواقهم كما قال هوفي الحيوان: "الفاتك والناسك" ، استطاع بذكاء أن يحول الضحك الشعبي إلى شكل أدبي هو النادرة التي أسس بها لفن القص، وكان أول من يستخدم مصطلح القصة لنوع سردي وأول من أصل المصطلح في القصة المكتوبة، استخدمه في ستة عشر عنوانا، واستخدم مصطلح الطرفة في سبعة عناوين، ومصطلح الحديث في عنوانين، وهو في البخلاء أول من اهتم بالنماذج المهمشة والمنحدرة من طبقات العامة.

- ابن الداية المعروف بأحمد بن يوسف(ت340هـ):

كتب على نهج أبيه سيرتي أحمد بن طولون وابن خمارويه وسير أخرى، وأشهر كتبه "المكافأة وحسن العقبى" الذي يمثل صورة واضحة لما وصلت إليه القصة الواقعية في القرن الرابع الهجري، صور فيه حياة المصريين ومعناتهم من القهر السياسي والاضدهاد العسكري في ظل الحكم الطولوني، قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، قسم يتكون من إحدى وثلاثين قصة قصيرة حول مكافأة الجميل بالجميل، وقسم من إحدى وعشرين قصة في مكافأة القبيح بالقبيح، وقسم من تسع عشرة قصة في حسن العقبى، وهي

جميعا قصص قصيرة مكثفة وبلغة سلسة قريبة من روح الشعب ولا تخلو من رسائل إصلاحية كالترغيب والتحذير وبعث الأمل والتفاؤل إضافة إلى التربية مما يجعل الكتاب ينتمي إلى القص النقدي الإجتماعي والإصلاحي.

- الأصفهاني (ت356):

صاحب كتاب الأغاني المهدى إلى الوزير المهلبي وقيل إلى سيف الدولة، وكتاب "مقاتل الطالبيين" و"الإماء الشواعر". جمع في الأغاني الكثير من الأخبار الواقعية والمنقولة عن مصادر سابقة والتخييلية، فهو كتاب أخبار أولا ويأتي القص في المقام الثاني، محوره الألحان المائة التي اختيرت للرشيد، ومنها ذكر أخبار صاحب اللحن وقائل الأبيات ومغنيها وكل ما يتصل بها، قدم شخصياته مع كثير من صور الحياة والبيئة العباسية وعادات الناس، مستخدما الوصف والحوار والحبكة القصصية، عنون فصوله ب"خبر" و"أخبار" وحرص على ذكر الروايات المختلفة للخبر الواحد ومختلف وجهات النظر، مع طغيان طابع السير وإن لم يلتزم فيها الترتيب الزمني، فكأنها قصص مشهدية وإن وجدت بعض القصص المكتملة مثل أخبار المجنون وخبر الأوقص المخزومي مع سكران يغني وخبر النصيب مع العجوز... وعموما فإن كتاب الأغاني بأخباره وحكاياته يعد أحد أهم مصادر الفن القصصي عند العرب.

- القاضي التنوخي (ت):

هو تلميذ الأصفهاني وقد أجاز له رواية كتابه الأغاني و سائر كتبه، ترك التنوخي ثلاث كتب قصصية هي: "كتاب المستجاد من فعلات الأجواد" و"كتاب الفرج بعد الشدة" و"نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة"، تدور كلها حول تقلبات أحوال الناس مع بقاء كوة للأمل والخلاص، ويحرص فيها التنوخي على إقناع القارىء بمصداقية أخباره بإسنادها إلى مصادرها ولكنها لا تخلو من قصص مختلقة، ومن خصائصها غوص التنوخي في مشاعر شخصياته وأحوالهم النفسية والنزول بهم إلى التعرية الوقحة في لغتهم وسلوكهم فهو لا يتحرج من فاحش القول والفعل، كما تتميز قصصه بالحبكة المحكمة والمركبة وإن لم يحرص على الترتيب والتبويب في كتابه، وقد عد أول كاتب يقدم نموذجا للبطل الإشكالي في قصصه.

- أبو المطهر الأزدي(أواخر ق3هـ):

يذهب محمد رجب النجار إلى أنه اسم مستعار للتوحيدي الذي كان يضع مطلع حياته مؤلفات وينحلها لغيره كما ذكر في كتابه المحاسن والأضداد، اشتهر بحكاية أبي القاسم البغدادي التي تصور الحياة الإجتماعية في بغداد عن طريق وصف المجون والمتماجنين من أهل بغداد وأصفهان، وهي أقرب إلى المجلس منها إلى القصة وفيها كثير من الدعابة والظرف، بطل الحكاية هو أحمد بن علي التميمي الذي أطلق عليه اسم أبي القاسم البغدادي، ويرجح أن يكون شخصية تخييلية برغم تصريحه بواقعيته في قوله: "ثم إن هذه حكاية عن رجل بغدادي كنت أعاشره برهة من الدهر، فيتفق منه ألفاظ مستحسنة ومستخشنة، وعبارات أهل بلده مستفصحة ومستفضحة، فأثبتها خاطري لتكون كالتذكرة في معرفة أخلاق البغداديين على تباين طبقاتهم". تنقلب الشخصية من الزهد والورع والوعظ إلى الشرب والقصف في المكان الواحد والمجلس نفسه حتى يحتار الحاضرون في أمرها، وتظهر في أسلوب ساخر أصبح من أهم أساليب النقد السياسي والإجتماعي لفضح العيوب وكشف مظاهر الغبن والظلم، فكأنه قناع لمتناقضات العصر وزيفه، يقول في خاتمة الكتاب: "كان غرة الزمان وعديل الشيطان، ومجمع المحاسن والمقابح، متجاوز الغاية والحد، متكاملا في الهزل والجد، موفورا من الأخلاق والنفاق، متخلقا منها بأخلاق أهل العراق".

هذا ولابد من الإشارة إلى جهود ابن الأنباري في قصصه الأخلاقي والفكاهي، وجهود الجهشياري وابن دلان وابن العطار في القرن الرابع، و"كتاب الزهرة" لابن داود الظاهري، وكتاب الموشى أو الظرف والظرفاء لأبي الطيب الأعرابي المعروف بالوشاء الحافل بأخبار الظرف والظرفاء والعشاق ، وكتاب المحاسن والأضداد للبيهقي، وكتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي ففيه بعض النوادر والطرف والقصص الموجزة، وكتاب الجليس الصالح الكافي والأنيس الصالح الشافي لأبي الفرج النهرواني الجريري. وكلها جهود أوعزت بإنتاج نص قصصي عربي مستقل، مكتمل الملامح والعناصر.

ملاحظة:بنية القصة القرآنية تم التطرق لها حضوريا في محاضرتين

الأستاذة الدكتورة سكينة قدور